

خلفيات التّأصيل ومعطيات التّحصيل في تعليميّة النّصوص الأدبيّة، لطلّاب السّنة أولى ثانويّ

أستاذة سعاد بسناسي*

الملخص:

تعتبر إشكاليّة النّصوص من أهمّ قضايا التّعليميّة المعاصرة، وتزداد هذه الإشكاليّة في المرحلة الثّانويّة، شعبة الآداب، وعند طلبة السّنة أولى، وبخاصّة، لأنّ المرحلة الثّانويّة تعدّ حلقة وسطى بين ما قبلها من التّعليم المتوسّط، وما بعدها أي المرحلة الجامعيّة، وفي تعديل البرامج والطّرائق والتّقنيات والوسائل، يجد المتعلّم نفسه قد نسي ما كان قد اكتسبه، ممّا يعدّ أصولاً، والتي قام على أساسها فهمه، وتفكيره، وتحليله للنّصوص، وبخاصّة السّنة الرّابعة متوسّط، التي يقوم فيها التّركيز على النّصوص الحجاجيّة أكثر من غيرها، والنّقلة المفاجئة والنّوعيّة، في السّنة أولى ثانوي التي توجد فيها كلّ أنماط النّصوص، ممّا يشتّت فهم المتعلّم وتركيزه وتحليله لها، ومنه، نتساءل في هذه الورقة البحثيّة عن مدى حفاظ المتعلّم على مكتسباته السّابقة واحتفاظه بها، وعن مدى تلاؤمه وانسجامه مع المحصّلات الجديدة، هذه خلاصة مركّزة وجيزة، لإشكاليّة البحث وأبعاده، تبقى تفاصيلها، نعرضها ونتعرّض إليها فيما هو آت.

خلفيات التّأصيل ومعطيات التّحصيل في تعليميّة النّصوص الأدبيّة، لطلّاب
السّنة أولى ثانويّ:

تعتبر النّصوص الأدبيّة في مختلف الأطوار التّعليميّة ترجمة لمحتوى
المناهج المناسبة لكلّ مرحلة، حيث يضمّ كلّ منهاج جملة من المحاور، ويتضمّن

* سعاد بسناسي، كليّة الآداب والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة وهران 1/أحمد بن بلّة.

كلّ محور نصّاً أدبياً، وآخر تواصلياً، ونصّ ثالث للمطالعة الموجهة، هذا في المرحلة الثانويّة، وتتمّ المعالجة الأدبيّة والنقدية للنصّين الأدبيّ والتّواصليّ، لاستثمارهما من النّاحية اللّغويّة والبلاغيّة، وتهدف النّصوص الأدبيّة في المرحلة الثانويّة، إلى تنمية ملكة التّدوّق الفنّي عند المتعلّمين، وحتىّ الموضوعات النّحويّة والبلاغيّة، ما هي إلّا معارف مستمدّة من النّصوص نفسها، لخدمة معاني ومباني النّصوص الأدبيّة التّعليميّة، لذا فإنّ (الكتاب يقوم على أساس المقاربة النّصيّة كاختيار منهجيّ، وعلى المقاربة بالكفاءات كاختيار تربويّ)¹ ومنه نستخلص أهميّة النّص الأدبيّ، ودوره في تنمية العمليّات الدّهنيّة والتّفكيريّة للمتعلّمين، وإكسابهم القدرة على الفهم والتّحصيل المعرفيّ والثّقافيّ، إضافة إلى اكتساب مهارات الأداء اللّغويّ، وأساليب الأداء والتّعبير.

وهذا كلّه، يتطلّب من المعلّم (رسم خطة للعمل بما يفيد المتعلّمين، ويعالج أوضاعهم وينتقل بالفعل البيداغوجيّ من منطق التّعليم إلى منطق التّعلّم وهذا المبدأ لا يتحقّق إلّا بمراعاة حاجات المتعلّمين واستعداداتهم والنتائج التي تسفر عنها مختلف العمليّات التّقويميّة)² وما يهمّ في العمليّة التّعليميّة هي التّنتائج، ممّا يجعلنا نبحث في الإشكالات التي تعترض تعليميّة النّصوص الأدبيّة في مرحلة ما قبل الثّانوي، وأثناءها، وبعدها، وذلك باعتبار كلّ مرحلة تمثل امتداداً لما قبلها، وتمهيداً لما بعدها.

وإشكاليّة هذا العمل، تتلخّص في استنباط خلفيّات التّأصيل التي ينطلق منها المتعلّم في نهاية السّنة رابعة متوسّط، واستبطان المعطيات الجديدة التي يتحصّل عليها في نهاية السّنة أولى أدبيّ، فتضاف إلى رصيده اللّغويّ؛ وتركيزنا على هذا المستوى وهذه الشّعبة، سببه أنّ الإشكال يزداد فهماً أكثر من غيرهما من المستويات والشّعب.

وسيقوم هذا البحث، على عرض خلفيّات التّأصيل وملاحم المتعلّم في السّنة الرّابعة متوسّط، من خلال تتبّع عدد النّصوص المقرّر تدريسها، ونوعيّتها،

وطبيعتها، وزمن تقديمها وطريقة توزيعها، ثم عرض النصوص الأدبية المقررة في المرحلة اللاحقة، وملامح المتعلم، والمستوى الذي يصل إليه بالمقارنة مع ما مضى، وما هو آت.

مجاور النصوص الأدبية في السنة رابعة متوسط:

- 1- الدين المعاملة،
- 2- شخصيات موهوبة،
- 3- الظواهر الطبيعية،
- 4- أمراض العصر،
- 5- الثروات الطبيعية،
- 6- متاحف ومعالم تاريخية،
- 7- عالم الشغل،
- 8- الشباب والمستقبل،
- 9- الفنون،
- 10- العلوم والتقدم التكنولوجي،
- 11- المواطنة،
- 12- شعوب العالم،
- 13- الهوايات،
- 14- أساطير محلية وعالمية،
- 15- قضايا اجتماعية،
- 16- الإنسان والحيوان،
- 17- المرافق العامة،
- 18- التلوث البيئي،
- 19- حقوق الإنسان،
- 20- دور الإعلام في المجتمع،

- 21 الأحداث الكبرى في القرن العشرين،
- 22 الهجرة،
- 23 التضامن الإنساني،
- 24 الصناعة التقليدية.

ملاحظات:

يلاحظ من خلال هذه الملامح ورجوعاً إلى النصوص، وطبيعتها، وحجمها الزماني، وعدد ونوع الأسئلة المصاحبة لها، أن تحققها جدّ ضئيل، فالمتعلّم في هذه المرحلة لا يستطيع استخلاص الملامح الفنية كما هو منتظر، ولا تلخيصها كما يفترض، ولا أن يقوم ببحث منهجيّ بتوظيف المراجع المستخدمة، ولا بالرجوع إليها، وخلاصة: المجموع الإجمالي للمحاور في السّنة رابعة متوسط=24محورا (02 منها مكرّرة) فتصبح 26 محورا، تحتوي 49 نصّاً أدبيّاً، عناوينها تتّسم بالجدة والحداثة، وموضوعاتها متنوّعة قريبة من فضول المتعلّم في هذا السن، وقريبة من التّطوّرات العلميّة والتّكنولوجيّة والاجتماعيّة الحاصلة، وهي بذلك مواكبة للحياة اليوميّة القريبة من واقعه ومجتمع، منها: من شمائل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، مزار الموهبة النّادرة، سيّارة المستقبل، انترنت المستقبل، الشّعب الصّينيّ، تسلّق الجبال، كيف خلّقت الضّفادع، لا تقهروا الأطفال، الهجرة السريّة، هجرة الأدمغة، وغيرها من العناوين البسيطة والمشوّقة، وأغلب النّصوص حجاجيّة، ممّا يجعل المعلومات ترسخ في ذهن المتعلّم، وتجعله في تواصل مستمرّ مع تلك الأحداث، والوقائع، والمضامين النّصيّة، كما تخلق بعض العناوين الفضول في نفس المتعلّم، لمعرفة الكثير من الأمور.

ملح دخول المتعلّم إلى السّنة الأولى ثانويّ:

يكتسب المتعلّم في هذه المرحلة، مجموعة من الكفاءات والمهارات، من خلال تعلّمه جملة من النّصوص الحجاجيّة، وغيرها من أنماط النّصوص، ومن ميزات هذه النّصوص شكلاً ومضموناً، أنّها تتّسم بلغة بسيطة، ومفردات واضحة ومفهومة، وبذلك يكون المتعلّم في نهاية هذا المستوى قادراً على³:

- 1- القراءة الجهرية مقرونة بسلامة النّطق، وحسن الأداء، وضبط الحركات، وتمثيل للمعنى،
- 2- فهم المعاني المتعدّدة للكلمات،

- 3- مناقشة أفكار النص بإقامة الحجّة والتزام الموضوعيّة،
- 4- تمييز الصّواب من الخطأ في بنية الكلمات والعبارات والتراكيب،
- 5- فهم المحتوى المقروء، ومناقشة أفكاره الرئيّسة والجزئيّة،
- 6- تلخيص قصّة أو نصّ أو مقالة في حدود مستواه الفكريّ والمنهجيّ.

جدول التّوزيع الزّمنيّ لنشاط الأدب والنّصوص:

النّشاط	الشّعبة	السّنة	المدة الزّمنيّة	توزيع السّاعات
أدب ونصوص	جذع مشترك آداب	أولى ثانوي	أربع ساعات ⁴	ساعتان، وبعدها ساعة، وساعة أخرى كلّها لنشاط الأدب والنّصوص، حيث يتمّ فيها دراسة نصّ بتحليل معطياته، ومضمونه، وما يتعلّق بالمسائل المقرّرة في النّحو والصّرف والبلاغة والعروض والنّقد ⁵

أنواع النّصوص وأهدافها:

تنقسم النّصوص في المرحلة الثّانوية إلى: أدبيّة وتواصليّة، أمّا النّصوص الأدبيّة، فيشترط فيها أن تكون: موافقة للظواهر المحدّدة بالنّسبة للعصر الأدبيّ، ومناسبة لمستوى المتعلّمين الفكريّ واللّغويّ، وأن تشتمل على أسئلة تساعد على الدّراسة الأدبيّة الوافية للنّصوص المختارة، وأن تطابق أهداف المنهاج، كما يراعى فيها الشّكل التّام إذا كانت كلماتها وعباراتها غير متداولة، وجزئيّا إذا كانت معروفة مألوفة، وأن تحتوي هذه النّصوص على نشاطات، وتطبيقات، ومشاريع تسمح بتحقيق الأهداف والكفاءات، وذلك ضمن عمليّات التّقييم⁶.

وتأتي النّصوص التّواصليّة لدعم النصّ الأدبيّ، ويشترط فيها أن تكون: مساعدة على تعميق الفهم الخاصّ بالظاهرة التي تعالجها النّصوص الأدبيّة، وأن

تكون من إنتاج كبار الأدباء والنقاد في عالم الأدب والفكر، وأن تقنع وتدعم الظاهرة التي تعالجها، وبنبغي أن تتميز بالعمق الفكري، والثراء اللغوي، بحيث تغني معارف المتعلم ومعلوماته في الموضوع المعالج، وتشتمل على أسئلة تساعد المتعلمين على حسن استثمار الأثر من جميع الجوانب.

كما ينبغي أن تثير النصوص التواصلية فضول المتعلمين في البحث عن سندات، ومراجع أخرى زيادة في المعرفة، وفتحاً لأفاق جديدة، وأن تشكل شكلاً جزئياً تدريباً للمتعلمين على قراءة نص غير مشكول، وأن تراعي مستوى المتعلمين الفكري واللغوي.

ملمح خروج المتعلم من السنة أولى إلى الثانية ثانوي:

- 1- إصدار الأحكام على النصوص المقروءة،
- 2- إبراز مواطن الجمال الفني في المقروء،
- 3- تلخيص المقروء بلغة سليمة، وفكر منتظم،
- 4- التمييز بين الصور البلاغية التي يلبس الأديب بها معانيه، وما فيها من جمال، وقوة تأثرها في النفس،
- 5- البحث المنهجي وتقصي المسائل، واستخدام المراجع، والانتفاع بمختلف مصادر التوثيق،
- 6- توظيف الأسس التي تقوم عليها بلاغة الكلام، وجودة الأسلوب من حيث الوضوح والقوة والجمال بمراعاة خاصية الإدماج،
- 7- إبداء الرأي في قضية من القضايا المطروحة عليه، باعتماد قوة الحجّة، وسلامة التعبير،
- 8- تحديد الخصائص الفنية للنص الأدبي، وما يتركه من أثر في النفس مع التعليل،
- 9- كتابة نصوص حجاجية، وتفسيرية في مقام تواصل دالّ،
- 10- الكتابة في أنماط نصية متنوعة⁷.

إحصاء النصوص الأدبية:

الفصل الأول=11 نصاً أدبياً، موزعة كالآتي:

- سبتمبر: نص في الإشادة بالصّح والسّلام، ونصّ حول: ظاهرة الصّح والسّلم في العصر الجاهليّ.
- أكتوبر: ثلاثة نصوص هي: الفروسية لعنتر بن شدّاد، الفتوة والفروسية عند العرب، وصف البرق والمطر.
- نوفمبر: أربعة نصوص هي: الطّبيعة من خلال الشّعر الجاهليّ، الحكم والأمثال، معلم الأمثال، تقوى الله، الإحسان للآخرين.
- ديسمبر: نصّين: قيم روحية واجتماعية في الإسلام، من شعر النّضال.

الفصل الثّاني=09 نصوص، موزعة كالآتي:

- جانفي: ثلاثة نصوص: الشّعر في صدر الإسلام، فتح مكّة لحسان، شعر الفتوح وآثاره النّفسيّة.
- فبراير: أربعة نصوص: من تأثير الإسلام **ف** الشّعر والشّعراء، من آثار الإسلام على الفكر واللّغة، في مدح الهاشميين الكميّة، نشأة الأحزاب السياسيّة في عهد بني أميّة.
- مارس: نصّين: من الغزل العفيف جميل بن معمر، الغزل العذريّ في عهد بني أميّة.

الفصل الثّالث: أربعة نصوص موزعة كالآتي:

- أبريل: نصّ واحد: في مدح عبد الملك بن مروان وبني أميّة للأخطل.
- ماي: ثلاثة نصوص: التّجديد في المديح والهجاء، توجيهات إلى الكتّاب، الكتابة في العصر الأمويّ.

خلاصة: الفصل الأول = 11 نصًا + تسعة نصوص في الفصل الثاني + أربعة نصوص في الفصل الثالث = 24 نصًا أدبيًا هو المجموع الإجمالي للنصوص المدروسة في السنة أولى ثانوي، ونلاحظ تنوع أنماط النصوص خطوات دراسة نص أدبي:

لقد غلبت النصوص الحجاجية والتفسيرية في محاور بداية المرحلة الثانوية، لتدريب المتعلمين على التفكير الراجي، وقوة الإصالة في الحكم، وإعطائهم الفرصة للمشاركة، وإبداء آرائهم وأحكامهم بحرية، مع قدرتهم على تحليل وتعليل ذلك، وينتهي المتعلمون الخطوات الآتية لدراسة النصوص الأدبية⁸:

- 1- التعرف على صاحب النص، باختصار وعن حياته وعصره، وما له علاقة بالنص،
- 2- تقديم الموضوع، وذلك بقراءته قراءة سليمة، مع مراعاة الجودة في النطق، وحسن الأداء، وتمثيل المعنى،
- 3- إثراء الرصيد اللغوي، بمشاركة المعلم الذي يعين من خلال القراءة الأولية المفردات والتراكيب اللغوية الجديدة بالشرح، لأن مهارة المتعلم في التحليل اللغوي تؤدي دورا هاما في اكتشاف المعنى الخفي من خلال التركيب الظاهر، ويتم الشرح بالتعرف المعجمي، ثم استخلاص الدلالة السياقية التي وظفت فيها تلك التراكيب،
- 4- اكتشاف معطيات النص، وهي العناصر الأساسية التي يتوافر عليها النص، من معاني وأفكار، ومشاعر، وانفعالات، وعواطف، وتعبير حقيقية ومجازية، وأساليب بلاغية، فينتج عن هذا كله اكتشاف العناصر الفنية على أدواته الجمالية تدريجيا،
- 5- مناقشة معطيات النص، وهي مرحلة هامة، لأنها تجعل المتعلم يسخر كل مكتسباته، لتسليط ملكته النقدية على معطيات النص، من حيث معانيه وأفكاره وأساليبه، وجمالية لغته، وأن لا

يكون النقد وصفيًا ونمطيًا، بل يقدم من خلاله المتعلم تأويلاته، ويتوغل في ذكر اقتراحاته وبدائله، بما يفيد انفتاح النص على ما لا يحصى من الدلالات والمعاني، فتتحول بذلك المعرفة الأدبية إلى عمل، والدّرس الأدبيّ إلى إبداع.

6- تحديد بناء النص، يتخلل النص الأدبيّ أكثر من نمط أحيانًا، ومنه فإنّ اللاتجانس يعتبر خاصية من خصائص النصوص التي تجعل تحديد نمطه صعبًا على المتعلم، ممّا يستدعي مساعدة المعلم، وتدريبهم على ذلك مشافهة وكتابة من خلال إنتاج نصوص من النمط المدروس،

7- تفحص مظاهر الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النص، لأنّ النصّ منتج تترابط أفكاره، وتتوافق معانيه وتتسق وتنسجم، وليس تجمعًا اعتباطيًا، بل هو جمل مترابطة، والاتساق شرط أساسي لتحقيق الانسجام لأنّ الاتساق هو التماسك بين الأجزاء المشكّلة للنص، وهو ربط يتمّ من خلال علاقات معنويّة، تنتج بوساطة وسائل دلاليّة موضوعية بهدف خلق نصّ، والانسجام هو نظرة شاملة تضع في الحسبان مقارنة النصّ في بنيته الدلاليّة والشكليّة، ولا يتعلّق بظاهر النصّ، وإنّما أيضًا بالتصوّر الدلالي أو المعرفي.

8- إجمال القول في تقدير النصّ، يتوصّل المعلم بالمتعلمين في ختام دراسة النصّ إلى تلخيص أبرز الخصائص الفنيّة والفكريّة للنصّ، مع استخلاص خصوصيات فنّ التّوظيف اللّغويّ عند الأديب للتعبير عن أفكاره وطريقة إفصاحه عن المعاني، وعلى الوسائل الأسلوبية التي أكثر من استخدامها.

نتائج عامة:

- 1- نلاحظ حين انتقال المتعلم من السنة رابعة متوسط إلى الأولى ثانوي، وجود هوة وفراغ في وضع وانتقاء النصوص، لأن النصوص الأدبية في المتوسط بسيطة وواضحة، وفي بداية التعليم الثانوي تتسم بالتعقيد والغموض، لأنها ألفاظ وتراكيب العصر الجاهلي، مما يجعل المتعلم ينفر من هذه النصوص.
- 2- يحسن المتعلم بهذه الصعوبة، فيجد نفسه يبتعد تدريجياً عن هذه المادة، وينجم عن ذلك مللاً يزداد طالما أنه لا يفهم بالقدر المطلوب والمنتظر، ويصل به ذلك إلى درجة كره المادة عند البعض.
- 3- حينما يدرس المتعلم نصاً أدبياً وآخر تواصلياً، لدعم المكتسبات السابقة، فيأخذ أغلب وقته في التفكير للإجابة عن الأسئلة المطولة، والمكررة أحياناً، مما يشتت تفكيره، بدلاً من جعله يركز أكثر، لفهم المضمون.
- 4- الانتقال من عصر أدبي إلى آخر دون استيعاب ما سبق، فلا ترسخ المعلومات في ذهنه، عدا اكتفائه في بعض المواضع بأخذ فكرة بسيطة، ومختصرة عن كل عصر، وقد لا يتمكن البعض من التعبير عن ذلك.
- 5- غلبة النمط الحجاجي في السنة رابعة، مع وجود كل الأنماط النصية في السنة أولى، وتداخلها في النص الواحد، فيعجز المتعلم عن تحديد نمط النص الذي يدرسه، ومع هذا كله نطالبه بالإبداع أو التأليف أو تأليف مقطع مسرحي مثلاً، وهو لا يعرف مصطلحات المسرح، وأأسسه، ووسائله، وكيفية استثمارها وتوظيفها.
- 6- من الأهداف الختامية المنتظرة في نهاية السنة أولى، أن يكون المتعلم قادراً على تسخير مكتسباته القبلية لإنتاج نصوص متنوعة

في أشكال متعدّدة من التعبير، الذي تنتج عنه كفاءة في المجال الشّفويّ، وإنتاج نصوص في وضعيّة تواصلية ذات دلالة للتّليخيص أو التّحليل أو التّعليق، ويكتسب كفاءة ثانية في المجال الكتابيّ، لكتابة نصوص حجاجيّة وتفسيريّة، في وضعيّات ذات دلالة ونصوص لنقد أثر أدبيّ من العصور المدروسة بتوظيف مفاهيم النّقد المناسبة، وهذا كلّ لا يتحقّق، لأنّ المتعلّم في الغالب يميل إلى الإجابة المختصرة جدّاً، ويكتفي بنعم أو لا، ومع فهمه الفكرة لا يستطيع التعبير ولا التّعليق، ولا التّحليل إلّا بعدد معيّن من الجمل بطريقة سليمة وصحيحة، كما أنّ محور العصور الأدبيّة مثلاً فيه معلومات مختصرة جدّاً، لأنّ الكتاب تعمّد إغفال تقديم المقدّمات التي تتناول التعريف بالعصر الأدبيّ، ومظاهر الحياة التي سادت فيه، واكتفى بتقديم معطيات مختصرة، وترك المتعلّم يكتشف بقيّة المعطيات، وهذا يحتاج إلى إعادة نظر في بعض المواضع والموضوعات.

هوامش البحث:

- 1- ينظر، كتاب اللغة العربية وآدابها، السنة الثالثة من التعليم الثانوي، تنسيق وإشراف، الشريف مربي، تأليف، دراجي سعيد، ومجموعة من الأساتذة.
- 2- ينظر، مناهج السنة أولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، جذع مشترك علوم وتكنولوجيا/جذع مشترك آداب، الديوان الوطني للطبوعات المدرسية، مارس، 2005، ص 07.
- 3- ينظر، مناهج السنة الأولى من التعليم الثانوي، ص 10.
- 4- تخصص غالبا في بداية الأسبوع حصتان في ساعتين متتابعتين، وتلهمها حصّة في ساعة في يوم آخر، وحصّة ثالثة في يوم آخر من الأسبوع في ساعة.
- 5- عنصر النقد الأدبي حذف من البرنامج بقرار وزاري، وهو مطبق عند بعض المعلمين شفوياً، لتمكين المتعلم من معرفة بعض المصطلحات النقدية حسب.
- 6- ينظر، مناهج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، ص 38.
- 7- نفسه، ص 11، بتصرف واختصار.
- 8- ينظر، المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، للسنة الأولى الثانويّة، جذع مشترك آداب، إشراف وتأليف حسين شلوف، أحسن تلياني، ومحمد القروي، ص 05 وما بعدها بتصرف واختصار.